

ما إن قام الكيان الصهيوني بشن الحرب على لبنان، حتى قام النظام السعودي بموقف غير مسبوق في التاريخ العربي كله، ألا وهو إدانة حزب الله وزعيمه السيد حسن نصر الله، أو كما قال أسعد راشد بأنه هجوم سعودي غير مسبوق على حزب الله يتهمه فيه بجر المنطقة إلى مغامرات غير محسوبة كما أن الإعلام الذي يدور في الفلك السعودي أصبح يعكس بشكل مباشر وجهة نظر الحكومة السعودية من خلال اتخاذ موقف هو اقرب إلى التعاطف مع الموقف الإسرائيلي ودم حزب الله على به قبل أيام من اختطاف جنديين إسرائيليين وقتل وجرح عدد منهم، وقد لفت الموقف السعودي في انتقاده الشديد لحزب الله أنظار أغلب المراقبين السياسيين وأثار استغراب المحللين وحتى أصحاب القرار في المحافل الغربية والأمريكية بل وحتى الإسرائيلية خاصة وأن الحكومة السعودية التي مازالت ترعى الأصولية الوهابية ومتهمة لحد هذه اللحظة بدعم الإرهاب الديني السلفي المتطرف الذي يمثل خطراً على العالم وليس على إسرائيل فحسب واحتضانها للفكر الذي يصنع الإرهابيين ويصدرهم إلى العالم.

المأزق السعودي الجديد:

ما قام به النظام السعودي بتأييده لإسرائيل ضد حزب الله كان بسبب المأزق الذي كان يعيش فيه النظام، وأيضاً بسبب تحالف الحكومة السعودية الدائم مع أمريكا والصهيونية.

هذه الحكومة تواجه مأزقا جديا خاصة وان هناك قرار استراتيجي قد اتخذ في واشنطن ولم يكشف عنه يقضي بضرورة تغيير النظام الحاكم في الجزيرة العربية وقد صرح بذلك احد أعضاء مجلس الشيوخ بذلك قبل فترة لأجهزة الإعلام متسائلا بان "لا وجود تاريخي لما يسمى بالمملكة السعودية وما نعرفه هو نجد وحجاز!".

هذا التصريح أثار قلق الأسرة الحاكمة في السعودية ولم يتجرأ الإعلام العربي من التطرق إليه أو الإشارة إليه إلا انه يمثل انعطافا في الاستراتيجية الأمريكية تجاه مملكة آل سعود وتحولا واضحا في التفكير السياسي الأمريكي الذي اخذ يستغني عن الدور السعودي واعتماده عليه بعد إسقاط نظام صدام الدموي وقد تمثل ذلك جليا في إجلاء القوات الأمريكية من قواعدها العسكرية في السعودية وإغلاقها والانتقال إلى قاعدة عديد

والسيلية في قطر. إن الحديث عن "مغامرة" كما سماها السعوديون لا يمنح أي حق للنظام السعودي في أن يزايد على الأمريكيين ويبيع الغرب مواقف في مقابل التغاضي عن دورهم في رعاية الفكر الإرهابي التكفيري والسكوت عما تقوم به الحكومة السعودية من ادوار خبيثة تستهدف منع أي تحول ديمقراطي حقيقي في المنطقة وتستهدف أيضا البقاء على الأصولية السلفية الوهابية المتطرفة التي مهما حاول السعوديون إبراز تطرف أو مغامرات حزب الله، فإنها، أي الأصولية الوهابية، تشكل الأخطر على امن واستقرار العالم وستظل تمثل تهديدا للمجتمعات البشرية.

السعوديون - ولا نعني الشعب الجزائري - يسعون من خلال موقف التنديد بحزب الله للعب بعواطف الرأي العام الغربي وخاصة الأمريكي والإسرائيلي، فهم يلعبون دور النفاق والضحك على الذقون من اجل أن لا يطالبهم العالم بتغيير نهج التطرف والكف عن دعم الإرهاب الوهابي والسلفي كما أنهم يسعون للحفاظ على ذات المدرسة - الوهابية - من دون أن يقوموا بأي عمل ملموس لمحاربتها بل حاولوا ويحاولون بكل السبل الالتفاف على ذلك من خلال بعض التنازلات الشكلية والصورية وإعلاميا فقط كما يحدث اليوم حيث موقف التنديد بحزب الله ووصف ما قام به ضد الدولة الإسرائيلية بـ "المغامرات غير المحسوبة" هو فقط من اجل كسب الموقف الأمريكي ولإنقاذ الإرهاب السلفي ليس أكثر .

حزب الله يخوض صراعا مع الكيان الإسرائيلي وهو شأن لبناني اللبنانيون هم اعرف بشؤون بلدهم و بما يدور في الكواليس وسوف يحلون مشاكلهم بالأسلوب الذي يرونه مع الإسرائيليين، أما أن يتدخل السعوديون للتبرع بموقف لأمریکا في مقابل أن تغض النظر هذه الأخيرة عن دورهم التخريبي فهو ما ليس له ما يبرره خاصة وان النزاع بين حزب الله وإسرائيل هو نزاع من نوع يختلف عن تلك الحرب التي يشنها العالم ضد الإرهاب الذي يستهدف المدنيين ويصدر الانتحاريين الوهابيين لقتل البشر وذبح الأبرياء .

من هنا أيضا فان اغلب المراقبين ابدوا استغرابا كبيرا للموقف السعودي الفريد الذي لم يشاركه فيه احد حتى النظام المصري والأردني كان لهما موقف اخف وطأة كما أن الكويتيين كانوا بأكثر عقلانية عندما نددوا على لسان وزير خارجية الكويت بالعدوان الإسرائيلي على لبنان واستهداف المدنيين، وقد اعتبر احد المراقبين الموقف السعودي بأنه خروج عن المألوف وإحراج حتى للأمريكان الذين لم يكن يتوقعوا مثل هذا الموقف المبالغ فيه، لذلك فان النظام السعودي الذي يجد نفسه اليوم في موقف

ضعيف بدعمه للإرهابيين الأصوليين الوهابيين استغل التصعيد الجديد في لبنان من اجل أجندة خاصة لها علاقة بالموقف الدولي تجاه الإرهاب الوهابي الذي يشكل أكثر خطرا من أي أمر آخر خاصة وان الصراع في لبنان سينتهي بانتهاء مسألة مزارع شبعا وبعض الملفات الأخرى بين إسرائيل ولبنان إلا أن خطر الإرهاب الوهابي السلفي لن ينتهي خاصة وان له حواضن تحميه وتساعده على التفريخ والتكاثر تتمثل في المدرسة السعودية ونظامها الذي يأمل كثيرا على أن تعود تلك المدرسة إلى سابق عهدها وهذا ما تسعى إليه الحكومة السعودية من خلال مغازلة السلفيين الوهابيين في دفاعها عن الإرهابيين في سجون غوانتيناموا وتحريض الفضائيات العربية كالعربية لممارسة الدعاية لهم ولترضية الإرهاب السلفي الوهابي.

سيناريو الحزف السعودي من نهوض حزب الله اللبناني:

إن مبعث الانتقاد السعودي لحزب الله اللبناني عقب الغارات التي شنتها إسرائيل على لبنان هو الخوف من تنامي النفوذ الإيراني في المنطقة.

ونقلت وسائل الإعلام الحكومية في أول أيام الحرب عن مصدر رسمي قوله "عناصر" في لبنان و"من يقفون وراءها" هم المسؤولون عن شن إسرائيل لهجمات على لبنان لوقف هجمات مقاتلي جماعة حزب الله الشيعية.

وأثارت تلك التصريحات جدالا ساخنا في وسائل الإعلام العربية حيث ظهر تعاطف متزايد تجاه مقاومة ما ينظر إليه على تحالف وثيق في المنطقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل. وقال المحلل السياسي السعودي داود الشريان إن السعودية لا تريد أن تتاح نفس الفرصة أمام التدخل الإيراني في لبنان كما حدث في العراق.

وأضاف انه كان من المفاجئ أن بادرت السعودية بذلك دون انتظار الدول العربية الأخرى. لكن ذلك يتناسب مع رغبة السعودية في الاضطلاع بدور لوقف العمليات العسكرية.

مضيفا أن المملكة العربية السعودية من اكبر داعمي الحكومة اللبنانية في السنوات الأخيرة.

وتحدثت السعودية بقوة في العام الماضي عن نفوذ الإيرانيين في العراق عقب وصول الأغلبية الشيعية إلى السلطة في بغداد اثر الانتخابات.

كما تبنت السعودية موقفا علنيا قويا يدعم المخاوف العالمية إزاء البرنامج النووي الإيراني.

وقال المحلل العراقي مصطفى العاني إن السعودية تنتظر إلى حزب الله باعتباره امتدادا لإيران. ولا يمكنها تصديق أن حزب الله اتخذ ذلك القرار الاستراتيجي الخاص بأسر جنود إسرائيليين بدون مجرد علم الإيرانيين أو اخذ الضوء الأخضر منهم.

كما عبر رجال دين سعوديون عن شكوكهم إزاء دوافع حزب الله.

وتضمن موقع الكتروني خاص برجل الدين ناصر العمر مقالة جاء فيها "إن ليس كل من يحمل بندقية ضد القوى الصهيوأمرىكية هو مستحق بأن نرفع له الأيدي بالتحية احتراماً وإجلالاً."

وأضاف "ان حزب الله لا يقاتل نيابة عن المسلمين السنة لا في فلسطين ولا في غير فلسطين وإنما هو أداة بيد الحرس الثوري الإيراني."

لكن الكثير من السعوديين عبروا عن عدم الترحيب برد فعل حكومتهم واعتبروا أن حزب الله والجماعات الفلسطينية تقاتل من اجل وقف إسرائيل وحليفاتها الولايات المتحدة من فرض تسوية غير منصفة.

يرفض أئمة المسلمين السنة المتشددون في السعودية تأييد حزب الله الشيعي اللبناني الذي يقاتل إسرائيل ولا ينسون كراهيتهم القديمة للشيعية وإيران.

وانتقدت المملكة العربية السعودية مهد الإسلام ومهد الحركة الوهابية المتشددة حزب الله بالفعل وحملته مسؤولية استفزاز إسرائيل لتشن هجومها الحالي على لبنان وترى أن الجماعة الشيعية أداة لطموحات إيران في العالم العربي.

ويمكن لإسرائيل أن تجد بعض العزاء في ان أئمة السعودية الذين عادة ما يشجعون المسلمين على تأييد أشقائهم المحاصرين في العراق والأراضي الفلسطينية وأفغانستان يعارضون أيضا حزب الله.

وجاء في فتوى أصدرها الشيخ عبد الله ابن جبرين وهو داعية وهابي "لا يجوز نصره هذا الحزب الرافضي ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرأوا منهم وأن يخذلوا من ينضموا إليهم وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين وضررهم قديماً وحديثاً على أهل السنة فان الرافضة دائماً يضمرون العداة لأهل السنة ويحاولون بقدر الاستطاعة إظهار عيوب أهل السنة والظعن فيهم والمكر بهم وإذا كان كذلك فان كل من والاهم دخل في حكمهم لقول الله تعالى (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ)".

كما قال الداعية ناصر العمر المتمتع بشعبية في موقعه على الانترنت لأتباعه ان حزب الله "لا يقاتل باسم المسلمين السنة في فلسطين" أو في أي مكان آخر لكنه "أداة في أيدي الحرس الثوري الإيراني".

وفي صلاة الجمعة الماضية في مكة لم يأت أي ذكر لجماعة حزب الله اللبنانية الشيعية التي تقاتل إسرائيل لكن المديح كان من نصيب "المواقف السياسية والإنسانية المجيدة" للحكومة السعودية. أما مفتي المملكة المعين من قبل الدولة فقد التزم الصمت حتى أما سلمان العودة وهو من الوهابيين المعتدلين فقد ذهب إلى تأييد حزب الله قائلاً إن الخلاف التاريخي مع الشيعة يجب أن ينحى في الوقت الراهن. "عدونا الأكبر هم اليهود والصهاينة المجرمون الذين لا يفرقون في عدوانهم" بين الأطفال والمقاتلين.

ويمكن أن يلقي موقف الأئمة مثل موقف حكومتهم استياء من المواطنين السعوديين العاديين الذين يرون مثلهم مثل باقي العرب أن حزب الله يتصدى لعدوهم التاريخي إسرائيل. وغالبية العرب يرون أن إسرائيل التي لا تريد إعادة كل الأراضي العربية التي احتلتها في حرب عام ١٩٦٧ هي الخطر الأعظم لا إيران.

وقال الشيخ عبد العزيز القسام وهو رجل دين معتدل لرويترز ان الوهابيين المتشددين فقدوا صلتهم بنبض الشاعر. واستطرد "انهم لا يفكرون في العالم الإسلامي" مثلما يفكر الناس العاديون بل انهم "يفكرون فقط في عالمهم الوهابي".

وأضاف ان أي حركة "تتصدى لإسرائيل ستجد تأييداً شعبياً سواء كان صدام حسين أو حزب الله" مشيراً إلى الرئيس العراقي السابق.

وكسب حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله قلوب وتأييد العرب والمسلمين خاصة عندما قال إن حزب الله يقاتل من أجل كل المسلمين.

وصرح الداعية الإسلامي السعودي محسن العوجي بأنه لا مجال لأن يحاول السعوديون الغاضبون دعم حزب الله بالمال أو بالقتال في صفوفه كما فعل بعض السعوديين مع مقاتلين سنة يقاتلون القوات الأمريكية في العراق والحكومة الشيعية التي تدعمها.

وقال "لا اعتقد" ان أحدا سيفعل ذلك باستثناء بعض الشيعة في المنطقة الشرقية قد يفكرون في ذلك مشيراً إلى الأقلية الشيعية السعودية التي هاجمت علناً الحكومات العربية "لصمتها".

حزب الله يعمق خلافات الأسرة السعودية الحاكمة

كشفت مصادر صحفية عن تزايد الخلافات داخل النظام السعودي، بين الملك عبد الله من جهة وبين ولي عهده الأمير سلطان ووزير الداخلية الأمير نايف من جهة أخرى، وأكدت أن الموقف من لبنان "عمق" هذا الخلاف الذي وصل إلى حد "الانقسام" بين الطرفين، مشيرة إلى أن سلطان ونايف وبقية الأشقاء السديريين يقفون "ضد" حزب الله وداعمين لضربه، وأنهم عملوا على إصدار الفتوى الخاصة بعدم جواز نصرته أو الدعاء له لإحراج موقف الملك عبد الله الذي سارع وصادر بياناً عبر فيه عن رفضه لضرب لبنان.

وقالت صحيفة الوسط اليمنية المستقلة إن الانقسام الحاد داخل الأسرة عززته محاولة سلطان ونايف التقرب أكثر من أميركا لكسب موقفها الداعم للجبهة التي يتبناها، إضافة إلى سلمان أمير منطقة الرياض والرجل القوي داخل الحكم، والتي تقف ضد الملك عبد الله الذي يتبنى عادة المواقف القومية.

ونقلت الصحيفة عن محللين قولهم إن مثل هذا الصراع الذي ظهر للعلن "مقدمة من جهة سلطان للانقضاء على الحكم" معيدين إلى الأذهان ما حدث مع الملك فيصل الذي مثل اغتياله غياباً للدور السعودي المساند للقضايا القومية وبروز زعامات ضعيفة انشغلت بحياسة المؤامرات على البلدان المجاورة واقتطاع أراضيها ولم تسلم من ذلك حتى البلدان المتماهية مع التوجه السعودي والدائرة في فلكه.

وقالت الصحيفة إن الخلافات بين الأسرة المالكة تعكس إحدى جوانب النصر المعنوي والميداني الذي حققه حزب الله إلى الآن ويمضي نحو إتمامه.

وأضافت أن الموقف السعودي من الحرب بين حزب الله وإسرائيل قصد منه إضعاف موقف الحزب وعزله عن الشارع العربي والتعاطف الشعبي، غير أن النتيجة جاءت عكسية تماماً إذ أن المملكة هي التي قوبل موقفها بالمقت الشعبي والعزل فضلاً عن خلافات الأسرة المالكة الناتجة عن ذات الموضوع.

واستطردت قائلة أن حزب الله يكون قد أحرز نصراً كبيراً قياساً بإمكانياته فهو وإن واجه ضربة إسرائيلية قاسية غير أنه كسر عقدة الخوف العربية من مواجهة الجيش الإسرائيلي وأفضت إلى تنازلات عربية سخية لإسرائيل مقابل وعود ومناورات سياسية لم يتحقق منها شيء، مشيرة إلى أن ثمة نصر ميداني لحزب الله غير خاف على أحد، فالعدد الكبير من القتلى في صفوف الجيش الإسرائيلي لم يحدث منذ عقود حيث لم يحدث أن خسرت إسرائيل عشرات الجنود في أقل من شهر، ثم أن إسرائيل ومن ورائها الإدارة الأميركية لم تكن تتوقع استمرار المعركة كل هذه المدة.

وقالت إن المعروف عن آلة الحرب الإسرائيلية ان حروبها السابقة مع العرب تقاس بالساعات وأبرزها حرب حزيران ٦٧م التي يطلق عليها حرب الساعات الخمس وهي الحرب التي دمر فيها الطيران الحربي الإسرائيلي الجيش المصري وقضى عليه في خمس ساعات رغم انه كان أقوى جيش عربي آنذاك.

أسباب خوف النظام السعودي لحزب الله.. معادلة صعبة

كتبت الدكتورة مضاوي الرشيد- "صحيفة القدس العربي- ١/٨/٢٠٠٦م

عن الموقف السعودي من العدوان الإسرائيلي على لبنان لخصه البيان الرسمي وبيان مجلس الوزراء السعودي من إدانة صريحة لحزب الله الذي حملته هذه البيانات مسؤولية تدمير لبنان من قبل الفاشية الإسرائيلية المتسلحة بالدعم الأمريكي والسعودي.

اتفق المحور السعودي - الصهيوني - الأمريكي على هدف واحد وهو تصفية حزب الله وان أدى ذلك إلى إبادة القرى الشيعية الجنوبية ومنطقة

الضاحية التي تقطنها عوائل المهاجرين الأوائل والذين تركوا قراهم في الجنوب اللبناني خلال الاجتياح الإسرائيلي الأول أو تدمير لبنان كلياً.

تطرح هذه المرحلة الحرجة موضوع موقف السعودية الرسمي من حزب الله اللبناني والذي اتسم بالعداء المكشوف حالياً المبطن سابقاً.

أسباب الخوف

اثبت حزب الله انه المعادلة الصعبة في حسابات النظام السعودي والتي استطاعت أن تعريه منذ عام ١٩٨٢ لأسباب متعددة أهمها ما يلي:

١- يعادي النظام السعودي حزب الله لأنه يمثل نمطا معيناً من الحراك السياسي العربي الإسلامي. حزب الله حزب لا يرفع شعارات أممية فارغة فعده معروف وارض المعركة ليست الشيشان أو الصومال بل جنوب لبنان والآن كل لبنان. مقاومة لا تستمد فكرها من أيديولوجيات فقدت مصداقيتها بعدما رفعتها الأنظمة الثورية في الخمسينيات والستينيات وما زالت تحتفظ بشعاراتها بعض هذه الأنظمة.

لا يستطيع متقفو السلطة في السعودية أن يتهموا حزب الله بالقومية كما يحلو لهم أن ينعثوا من يتضامن مع أي قضية عربية كذلك لا يقدر هؤلاء أن يلصقوا صفة الاسلاموية على مثل هذا الحزب بسهولة لان هذا المصطلح اعتادوا على إسقاطه على الحركات الإسلامية السنية. لذلك يصعب على النظام السعودي أن يطعن بحزب الله بطريقته البدائية المعروفة والتي تطل علينا على صفحات إعلامه المحلي والعربي.

٢- حزب الله ليس فقط مؤسسة سياسية عسكرية بل هو مجتمع وثقافة ودين ونمط حياة يصعب تفكيكها من قبل النظام السعودي ومثقفيه.

٣- حزب الله لا ينشغل بعدو بعيد يشنت صوابه. هو يعرف من هو العدو الحقيقي.

٤- كذلك حزب الله ليس خلية إرهابية يؤسسها نظام ويصدرها إلى الخارج ويجندها ويسلحها من اجل مشروع أمريكي بحت ومن ثم تنقلب عليه وتخرجه من الإسلام وتكفره وتصوب سهامها باتجاهه لان حزب الله لا يمكن وضعه في هذا القالب المعروف جدا من قبل النظام السعودي لذلك سيبقى معادلة صعبة وسيبقى العداء لغة قائمة بيثها النظام السعودي من خلال إعلامه.

٥- يخاف النظام السعودي تكرار تجربة حزب الله على أرضه هو خاصة وان الأقلية الشيعية السعودية تتواجد على أرض النفط فرغم أن النظام السعودي نجح في استقطاب المعارضة الشيعية منذ ١٩٩٣ وامتنص رجال الدين الشيعية في المنطقة الشرقية بالإضافة إلى مثقفي الشيعة وكتابهم الذين لوحوا بشعار الوطنية متبنين بذلك الدور الذي يريد النظام السعودي منهم أن يلعبوه ألا وهو تجنيدهم كمفكرين لضرب تيار القاعدة الجهادي عليهم بذلك يحصلون على بعض المكاسب والتي اتضح انها سطحية ولم توصلهم إلى مبتغاهم ومطالبهم المسبقة.

فبعد أن جردهم النظام السعودي من عروبتهم إذ أنهم دوما متهمون بأنهم ذوو أصول إيرانية أو عراقية وأخرجهم من حيز الإسلام عاد وتقبلهم بشروطه هو.

رغم تطورات المصالحة الشيعية - السعودية يظل شبح حزب الله اللبناني يراود النظام السعودي خاصة بعد أن أطل ما يسمى بحزب الله الحجاز برأسه واصرر بياننا يشجب فيه التصريحات السعودية التي تدين الضحية اللبنانية بدلا من الجلاد الإسرائيلي.

٦- لا يهز النظام السعودي شيئا كما يهزه التقارب بين حزب الله وحركة حماس ولا بد أن نعترف ان هذا التقارب فرضه العدو المشترك على خلفية ربما مذهبية مختلفة للمجموعتين، عندما يطعن النظام السعودي بحزب الله فهو يلعب على حزازيات واختلافات مذهبية قديمة استطاعت حماس وحزب الله تجاوزها وكذلك تجاوزتها إيران عندما وضعت ثقلها خلف المقاومة الفلسطينية وزعامتها في دمشق وغزة. يغضب النظام السعودي من أي تقارب يوحد حركات المقاومة الشعبية لان النظام السعودي يعناش على تغذية النعرات الطائفية رغم كل خطاباته الدعائية. يخطئ من يعتقد أن هوية النظام سنية وانه ينصر هذه الفئة. هوية هذا النظام سعودية فقط لا غير.

وعلى الرغم من حرب النظام السعودي على الإرهاب إلا انه ضمنيا لا يغضب لأي قتل طائفي تقوم به مجموعات كان في الماضي من مناصريها ومؤيديها.

٧- انزعاج النظام السعودي من الهيمنة الإيرانية على العراق وتكرار هذه الهيمنة في لبنان عن طريق حزب الله يعكس رغبته القديمة في تجريد الشيعة العرب من جذورهم العربية. الخطاب الذي يربط بين التشيع

الناطق بلغة الضاد ونظيره الإيراني هو خطاب تم استهلاكه في السابق من قبل النظام العراقي عندما شرد هذا النظام آلاف من العوائل الشيعية العراقية تحت تهمة التبعية الإيرانية إلى إيران وها هو العراق يدفع الثمن الباهظ لهذه السياسة التهجيرية السابقة والتي مورست خلال السبعينات والثمانينات وربما نجد ان الكثير من العائدين إلى العراق اليوم يتصرفون بطريقة تأرية تجاه من يعتبرونه مسؤولاً عن تشريدهم وتهجيرهم.

ان يعتمد حزب الله على الدعم المعنوي والسياسي والمادي الإيراني خاصة بعد أن تخلي النظام السعودي عن مفهوم مقاومة الاحتلال هو اعتماد مشروع.

على الأقل تلقى حزب الله المساعدات والاستعانة من دولة إسلامية وليس من دولة تضرب مصالح المسلمين كالولايات المتحدة والتي لا زال النظام السعودي يدور في فلكها له مشروعية إسلامية. أسلحة حزب الله الإيرانية موجهة لعدو روع مواطنين عرباً واستنزف موارد عربية كبيرة أما استعانة النظام السعودي بالإمبراطورية الأمريكية كانت دوماً موجهة للطعن في العرب ومواردهم، من العراق مرورا بحربه على إيران والتمويل السعودي لهذه الحرب خلال عقد كامل.

٩- رغم كل أصوات التقرير واللوم الموجهة إلى حزب الله من السعودية اثبت هذا الحزب ان شعبيته تجاوزت الطائفة الشيعية ليس فقط في لبنان بل تعدتها إلى سنة السعودية ذاتها خاصة تلك الأقلية التي تجاوزت النعرات الطائفية التي غذاها النظام السعودي في المناهج وعلى منابر وعاظ السلاطين.

ونذكر على سبيل المثال تقييم الحركة الإسلامية للإصلاح الموجودة في لندن لانجازات حزب الله رغم ان الناطق باسمها الدكتور سعد الفقيه كان دوماً يذكر مستمعيه بأنه ينطلق من الموضوعية رغم ان هناك اختلافات عقدية مع حزب الله. احدى حلقات إذاعة الفقيه غازلت حزب الله على استحياء واستعرضت انجازه خلال عقدين وذكرت المستمعين السعوديين بوجود تجاوز فكر المؤامرة الذي يتقشي عند الشعوب المهزومة المغيبة عن صنع القرار تماما كالشعب السعودي.

١٠- يخاف النظام السعودي من شعبية حزب الله لذلك هو يفضل تدمير لبنان تدميراً كلياً على أن ينتصر نصر الله وخياره الذي لم يعد خياراً

شيوعيا أو لبنانيا بل أصبح خيارا عربيا بعد تبلور محور ثالوث الشر المرتبط بالمشروع الأمريكي.

اثنان من زوايا هذا الثالوث خرجا عن اجماع شعبيهما والثالث في طريقه إلى تنصيب نفسه زعيم خوارج العصر - مصطلح عودنا النظام السعودي أن يطلقه على خلايا القاعدة المجاهدة على أرضه - في لبنان خرج النظام السعودي عن إجماع شعبه.

١١- نمط حزب الله المحارب سعودي يشكل خطرا اكبر من خطر نموذج القاعدة لأسباب عدة. حزب الله ليس حزبا فقط بل هو مجتمع وبنية تحتية وخدمات ومؤسسات وليس خلايا مطاردة شتتت جهودها على ثغور نيويورك وبالي بعد أن فشلت فشلا ذريعا في تغيير نظام حكم عربي واحد. كذلك استطاع حزب الله أن يتجاوز الكثير من العقد التي لا تزال الحركات الإسلامية وخاصة السلفية تعاني منها. فمثلا تجاوز حزب الله عقدة المسلم وعلاقته مع غير المسلم والتعامل معه كذلك تجاوز عقدة المرأة ودورها ونظر اعلامه لمفهوم الوطنية والمذهبية بطريقة انبهر فيها ليس اتباع حزب الله فقط بل أعداءه والحق هو دوما ما شهدت به العدا. الدراسات الغربية التي أشادت بانجازات حزب الله كثيرة ولا مجال لتعدادها هنا. لكن هناك شبه إجماع على انه نجح في الكثير من الأمور الجوهرية رغم أن له بعض الزلات الاستراتيجية. نمط الحزب الإسلامي الذي يمثل حزب الله سيظل تجربة هي وليدة الاجتياح الإسرائيلي الأول للبنان. استطاع حزب الله أن يحول جيشا شيوعيا لبنانيا من كونه جيش المستضعفين والمحرومين إلى جيش مقاومة شعبية تستمد الهامها من شهادة الحسين وليس من أيديولوجيات مستوردة.

١٢- احدث حزب الله انقلابا اجتماعيا في شرائح اجتماعية لبنانية وهذا ما يخافه النظام السعودي والذي طبل لدولة طالبان ودعمها واعترف بها دبلوماسيا ليس لسبب سوى كونها تمثل النمط الأكثر تخلفا لمفهوم الدولة الإسلامية. فبعد أن دعم النظام السعودي هذا النمط لا يتوقف سفيره في واشنطن عن ترديد اتهامات ضد كل الحركات الإسلامية من منطلق كونها تريد طلبنة السعودية.

١٣- لا يقبل النظام السعودي بأي نمط إسلامي إلا إذا كان أكثر تخلفا منه هو حتى يري الجميع مدي تقدميته.

كذلك يعادي النظام السعودي الحركات الإسلامية المحلية ذات الأهداف المحددة المرتبطة بمجتمع محلي فهو شجع في الماضي التيارات الأممية التي تشتت جهدها وفكرها خارج حدود الوطن حتى يسلم النظام من سهامها.

١٤ - عداء النظام السعودي لحزب الله ينطلق من كون هذا الأخير قد عري النظام السعودي وكشف زيفه خاصة على الساحة اللبنانية وكان عقبة صعبة التجاوز في المشروع السعودي الكبير لسعودة لبنان.

بسبب العوامل السابقة الذكر تكالبت السعودية والولايات المتحدة وإسرائيل على تصفية حزب الله التجربة الجديدة على الساحة العربية.

تنفيذ المزاعم السعودية الوهابية

إن ما زعمه الوهابيون وآل سعود عن مخاوفهم من نموذج حزب الله يؤكد الدور المشبوه الذي يقوم به السعوديون ضد مصالح الأمة وتعاونها السري مع العدو الصهيوني، وهو التعاون الذي خرج للعلن وكان انتصار حزب الله جعلهم لا يتمكنون من ضبط أعصابهم وفي كل الأحوال يمكن القول إن المخاوف السعودية من حزب الله وانتصاره المتكرر على إسرائيل أكد ضرورة وجود دور العلماء الدينيين البعيدين عن السلطة السعودية.

لقد كشفت الحرب الأمريكية/ الإسرائيلية الأخيرة على لبنان، أهمية دور علماء الإسلام في الصراع، انطلاقاً من أن الدين هو ضمير الأمة ومحركها الرئيسي طالما كان المضمون هو رعاية مصالح الأمة، ليس العمل لصالح الحكام المتأمركين.

في هذا السياق، ظهرت فتاوى تستخدم (الإسلام وسلاح الفتاوى) ضد المجاهدين في لبنان وفلسطين، وهو على نقيض من جوهر دعوة الإسلام الصحيح، وعليه صار من الأهمية بمكان إعادة الاعتبار لدور (مكة) وما يصدر عنها من فتاوى، وما يلعبه علماءها من دور ديني وسياسي.

في هذا الإطار تأتي دعوة أن يتحرك العلماء وخطباء المساجد بالحجاز لإعادة الاعتبار مجدداً على الإسلام الصحيح، ولن يتم ذلك إلا توليهم مجدداً إمرة الحجاز بمقدساته ومنزلته الكبيرة من مكة والمدينة المنورة، وهي استعادة ضرورة لأمة الإسلام وليس لأهل الحجاز فحسب، وذلك لتخليصها من الفكر الوهابي المتشدد والمعادي بفتاويه المتطرفة لقضايا

الأمة الرئيسية وفي مقدمتها قضية (المقاومة)، و(الحريات) و (التقدم السياسي والاقتصادي).

وهذه الدعوة تصرح بأن هناك تمايزاً بين المقاومة الشرعية والمغامرة غير المحسوبة، إن المؤسسة التي حمتها ضد الغضب الناشئ عن حوادث الحادي عشر من سبتمبر.

صدرت الفتوى عن عبد الله بن جبرين عالم الدين الوهابي المشهور والمعروف بتشدهد وتحريره السياسي خلال حرب الخليج ويرتبط اسمه بمذكرة النصيحة التي طالبت بإعادة أسلمة النظام السعودي بعد أن انحرف حسب اعتقادهم عن الصراط المستقيم.

وقد نصّت الفتوى على أنه لا يجوز للمسلمين دعم الرفض، الاسم الأزدرائي للشيعة، ولا يجوز لهم جمع التبرعات للاجئين، لأنهم ليسوا مسلمين حقيقيين. وقد أدان ممارساتهم الدينية، ووصفهم بالمشركين وخلص إلى أنهم أعداء الإسلام .

الشيخ بن جبرين يعتبر الشيعة كفاراً، وأن الحادهم أسوأ من ذلك الذي حاربه النبي في القرن السابع (الميلادي) في مكة، وهو موقف وهابي متوارث عن سلسلة من علماء الدين.

وقد جاءت الفتوى في لحظة خطيرة وحظيت بتقدير كبير من قبل الإسرائيليين، حيث أعادوا نشرها في واحدة من جرائدهم المحلية .

ومرة أخرى يثبت الوهابيون الرسميون بأنهم الانتلجسيا المذهبية التي تبقى مواليه لليد التي تطعمها.

فالشيخ الذي أصدر هذه الفتوى ينتمي إلى نفس المعسكر الذي اعتمدت عليه الولايات المتحدة لانزال الهزيمة في الشيوعية خلال الحرب الباردة وبخاصة في أفغانستان ومناطق أخرى في العالم العربي والإسلامي. وكما هو الحال بالنسبة للصحافة الإسرائيلية، فإن الولايات المتحدة ستقدّر مرة أخرى الخدمات التي يقدمها العلماء الوهابيون، الذين يشرعون بإخلاص سياسات النظام السعودي، والتي توافقت مع السياسة الإسرائيلية والأميركية والبريطانية وعدد آخر من الدول.

أسلحة الضعفاء

التحالف بين النظام والعلماء الوهابيين قد تم تجديده مؤخراً، يلحظ ذلك بوضوح حين انتقد النظام السعودي الهيمنة الإيرانية في العراق، وهو تطور، بدلالته، عزز الهيمنة الشيعية لأول مرة في تاريخ العراق الحديث. لقد عزّا الوهابيون السعوديون القائد الأردني للمقاومة العراقية، أبو مصعب الزرقاوي، والذي اعتبر مدافعاً عن سنة العراق ضد الشيعة الكفار، الذين وصفوا بطريقة ازدرائية كمتحدرين من ابن العلقمي، الوزير البغدادي الذي يحمله السنة مسؤولية سقوط بغداد في أيدي المغول. لقد باركوا سعود الفيصل حين صرّح بأن الولايات المتحدة سلّمت العراق إلى إيران، البلد الذي يمثل الشيعة الزنادقة بحسب وجهة نظر أغلب الوهابيين .

في المقابل، فإن (الشارع السعودي) منقسم على نفسه. فليس هناك مظاهرات أو هيجانات كتلك التي شهدتها عمان والقاهرة والمنامة كرد فعل على العدوان الإسرائيلي. وبدلاً عن ذلك، فإن الناشطين السعوديين فضّلوا (أسلحة الضعفاء) أي كتابة العرائض اقتفاءً لنهجهم المألوف، فإن ميول المفكرين والوطنيين والإسلاميين اقتصرت على إصدار عريضة، أدانوا فيها التدمير الإسرائيلي للبنان، وبهذا عزلوا أنفسهم عن الموقفي السعودي - الوهابي الرسمي الذي يحمّل حزب الله مسؤولية الدمار. نشروا عريضتهم في الصحافة في دعم المقاومة اللبنانية والفلسطينية، وضمت - العريضة (المتهمين عادة) من بينهم: كتاب، وأساتذة جامعات، ومحامون، وآخرون يمثلون الطبقة الوسطى السعودية الناشئة .

كما أدان الشيعة السعوديون الموقف الرسمي في موقع تابع لهم على شبكة الانترنت وفي محطة تلفزيون فضائية عربية، ويرفضون الفتوى الصادرة عن ابن جبرين، وهو شخص معروف بإدانتته للشيعة والذي أنكر في السابق ممارساتهم الدينية بل وحرّم على المسلمين أكل ذبائحهم .

الطائفية جانباً

الإسلاميون السعوديون، وأغلبهم من السنة، أثبتوا بأن لديهم علاقة حب - كراهية مع مقاومة حزب الله. إنهم غيورون بفعل سجلها السابق وشعبية قائدها نصر الله. إنهم يتجاوزون في نظرهم للاختلافات الدينية والهوية المذهبية حين يفخرون بمقاومة رجال نصر الله في لبنان. سلمان العودة، الشيخ الصحوي، دعم المقاومة اللبنانية على شاشة إحدى المحطات

التلفزيون العربية الممولة سعودياً، وأن كثيراً من الإسلاميين السعوديين يقدّمون وحدة الأمة على توحيد الملة (أي توحيد العقيدة والمذهب)، كون الأول هو الموقف المطلوب في أوقات الأزمة .

ومن نافلة القول، فإن كلاً من النظام السعودي ومؤسسته الدينية استنكرا مثل هذه الزندقة. إنهم يفضلون أن يبقى العلماء منقسمين ما لم يتوحدوا تحت لواء النظام السعودي وتوجيه العلماء الوهابيين. وعلى الضد من لغة الوحدة الإسلامية والإشراف على المنظمات والمؤسسات الإسلامية العالمية، فإن النظام السعودي يقوم بتشجيع إحداث قطيعة بين الاخوة الإسلامية .

دول اللعبة

إن القول بأن عداوة السعودية لحزب الله نابعة من اعتقادها بالتعريف التبريري للدولة كجهاز له احتكار استعمال وسيلة القهر هو قول خاطئ وغير مدرك .

يجادل بعض الكتاب بأن السعوديين ينظرون إلى حزب الله بكونه دولة داخل دولة، وعليه يجب إزالته حتى لو تطلب ذلك تطهيراً عرقياً في جنوب لبنان، وتدمير البنية التحتية اللبنانية أو تدمير كل لبنان، إن هذا الرأي يغفل تاريخ النظام في دعم مجموعات هدفها الرئيسي كان تدمير دولها .

وبنفس القدر، فإن الزعم بأن العداوة السعودية الرسمية تجاه حزب الله هو انعكاس للكراهية المذهبية التاريخية بين سنة السعودية وشيعة حزب الله هو قراءة خاطئة للموقف السعودي الحالي. فقد دعمت السعودية الزيدية في اليمن ضد الجمهوريين اليمنيين الناصريين خلال حرب اليمن العام ١٩٦٢ . في الحقيقة، فإن النظام رحّب بالقيادة الزيدية المخلوعة ومنح أفرادها جوازات سفر ومخصصات مالية شهرية، ومازالت هذه المخصصات قائمة حتى اليوم .

الجهاد الخاطئ

بالرغم من فتوى ابن جبرين - والتي حظيت بتأييد كثير من السعوديين - فإن عداوة السعودية تجاه حزب الله ليست نابعة فحسب من الانقسام السني - الشيعي. إن خلف هذه العداوة أسباباً أخرى رئيسية وعميقة .

أولاً، تسعى السعودية إلى تدمير أي تمظهر للإسلام السياسي المندغم في السياق الوطني المحلي. وفيما كان النظام السعودي يدعم ويرعى بصورة دائمة الحركات والاتجاهات الإسلامية الأمامية داخل المجال الإسلامي، فقد كانت دائماً تعادي وتحارب الإسلاميين الوطنيين مثل حزب الله. فلدى الإسلاميين في المغرب، الجزائر، لبنان، اليمن، وأخيراً الإسلاميين العراقيين ممثلة في هيئة علماء المسلمين، قصص يروونها حول خصومة السعودية إزاء برامجهم، والمتصلة ببلد واحد .

في المقابل، فإن الحركات الإسلامية العالمية (القاعدة على سبيل المثال) كانت مدعومة في البداية من السعودية.

فقد رعى النظام القادة الذين يقودون الجهاد في مناطق بعيدة. ويشيد علماء الدين التابعين لها بأمراء الجهاد، مثل عبد الله عزام وأسامة بن لادن. وقد ناضلت الحركات الأمامية في سبيل الله خارج الحدود: أفغانستان، الفلبين، البوسنة، الشيشان، الصومال، ومناطق أخرى .

قبل الحادي عشر من سبتمبر، شجّع النظام مواطنيه على الحرب في الخارج في سياق الجهاد العالمي المبارك. فقد حاربوا ك (خاليا) منفصلة تماماً عن السياق المحلي أو المجتمع، بالرغم من أن كثيراً من السعوديين انتهوا إلى الزواج من نساء محليات أو تنشئة روابط محلية في محطات جهادهم. إن السعوديين الذين تم تجنيدهم يشبهون أولئك الذين يتمتعون بنزوح سنوي من البلاد في البحث عن الحرية من قيود مجتمعهم. بالنسبة لكثيرين، فإن الجهاد في الخارج كان امتداداً لعطلة الصيف، حيث يعودون بعد ذلك إلى بلادهم بروايات بطولية تمجّد دفاعهم عن المسلمين ضد الكفار. قلة صغيرة فقط تنظر إلى ضلوعها في الجهاد العالمي بوصفه وظيفة كاملة .

يفضّل النظام السعودي انخراط مواطنيه في جهاد بعيد، بدلاً من البقاء في الوطن والتفكير حول إمكانية إقامة الخلافة الراشدة في أرض الحرمين الشريفين أو التمتع بوسائل لإزالة الطغاة المحليين - في الخطاب الجهادي فإن هؤلاء الطغاة هم الحكام السعوديون أنفسهم .

قل الشيء الصحيح

ليس لدى مشايخ مثل ابن جبرين هواجس إزاء الصراع في سبيل الله في الخارج، ولكن لديهم تحفظات حول الجهاد في الداخل.

فالنوع الأخير من الجهاد يقود إلى فتنة بين المؤمنين، وعلاوة على ذلك فإنه يهدد بتفكك التحالف المقدس بين المؤسسة الدينية والحكام السعوديين .

الجهاد في الداخل سيفضي دون شك إلى عض اليد التي تغذي العلماء الوهابيين.

ولهذا السبب، فإن العلماء السعوديين الرسميين يقاومون إغراء دعم الفعالية الإسلامية المحلية ويحاربون في معارك ضد الصحويين الذين يتركز اهتمامهم بصورة مباشرة على السياق المحلي. في التسعينيات، أدان العلماء شيوخ الصحوية الذين استنكروا على النظام دعوته للقوات الأميركية إلى السعودية. لقد أصدروا اليوم فتاوى ضد المعارضة الإسلامية في المنفى، وخصوصاً تلك التي تركز نشاطاتها على السعودية ولا تشغل نفسها بالقضايا الإسلامية العالمية، مثل حركة الإصلاح الإسلامية في السعودية، التي كانت الفتاوى العدائية الصادرة من قبل العلماء الرسميين ضدها مشينة .

الإلهام المشترك

الخصومة السعودية إزاء مشروع حزب الله ينبع من الخوف من نموذجه الذي قد يتحول إلى مصدر إلهام لدى الإسلاميين في الداخل. وبالرغم من أن حزب الله يستمد من مصادر ورجال وفكر ذات طابع شيعي، فإن تاريخه وتاريخ النضال الإسلامي الشيعي في العراق، وإيران، ودول الخليج - بما في ذلك السعودية - كان يستلهم من مصادر شيعية وسنية على السواء. فالفكر السني في القرن العشرين كان مبعجلاً من قبل الإسلاميين السنة والشيعية.

وكما هو الحال بالنسبة لدى نظرائهم السنة، فإن كثيراً من الإسلاميين الشيعة كانوا يستلهمون من مفكرين مثل السيد قطب، وأبو الأعلى المودودي، وكلاهما من السنة.

إن الاختلاف الوحيد بين نوعي الإسلام الشيعي والسني ينبع من حقيقة أن السنة فشلوا بصورة مزرية في تحقيق أهدافهم بينما نجح الشيعة في ذلك .

الإسلام الشيعي نجح في تطبيق رؤيته في إيران ولاحقاً في لبنان، حيث أسس حزب الله ما يعرف بـ (دولة داخل دولة). ومنذ وقت قريب، وصل

الإسلاميون الشيعة إلى السلطة في العراق بينما فشل الإسلاميون السنة في الإطاحة بنظام عربي، دع عنك إقامة دولة إسلامية زاهرة .

المثير للدهشة، أن كثيراً من الإسلاميين السنة يفضلون الذهاب إلى العالمية، وضرب العدو البعيد، بينما يمنحون الطغاة المحليين قوة وقدرة على إحداث دمار أكبر على من ورائهم.

فلو نجح الإسلاميون السنة في صراعهم المحلي ضد الطغاة المحليين، أي عدوهم المباشر، فإنهم لن ينصرفوا إلى العالمية، وإيقاع الدمار في مناطق مثل نيويورك، ولندن، ومدريد، ومناطق أخرى .

وبينما تشظى الإسلام السني، فإن الإسلام الشيعي رسّخ نفسه في مواقع محددة.

فقبل الهجوم الإسرائيلي على حزب الله في الثاني عشر من يوليو، مثل الحزب حركة إسلامية وطنية. جهاد حزب الله مندك في تربته، وفي السابق، ضحّى الفدائيون من حزب الله بأرواحهم وقتلوا على أرضهم.

ولهذا السبب، فإن نموذج حزب الله الذي هو مقيم في منطقة محددة يخيف النظام السعودي. فهذا النموذج يجب إزالته خشية تكراره في مناطق أخرى، وخصوصاً القريبة من الرياض .

اختراق الخلاف

السبب الآخر لإشاعة النظام السعودي العداوة إزاء حزب الله لأنه نجح في تجسير فجوة الخلاف السني - الشيعي عبر تأييده لمنظمة حماس السنيّة ونضالها ضد الدولة الصهيونية المصمّمة على إزالة الفلسطينيين، وخصوصاً أولئك الذي يرفضون شروطها في السلام .

وكمحركات مقاومة، فإن حماس وحزب الله قبلوا بأن يكونوا شركاء في الجهاد في سبيل الله، بما يدع جانبا الهويات المذهبية، فيما فشل الإسلاميون السنة والشيعة في العراق في الوصول إليه تحت الاحتلال أو قد يكون بسبب الاحتلال .

إن تضامن حزب الله - حماس، برعاية إيرانية، يخيف النظام السعودي لسببين: الأول، أنه يمدد مجال نفوذ بلد خصم، أي منحها موقعاً في منطقة

الخليج على حساب السعودية، التي يفضي إخفاقها واعتمادها التام على الولايات المتحدة لحماية حقول نفطها إلى فضحها أمام شعبها. ففي كل مرة يتعاطى الرئيس الإيراني أحمددي نجاد مع الأغلبية السنية (الشارع العربي) في حال، على سبيل المثال، قدحه في إسرائيل وإنكاره لمحرقه الهولوكست، فإنه يحدث اهتزازاً عبر الرياض، التي تثيره قوة بلاده، والقائمة على قدرات عسكرية وبشرية حقيقية .

السعودية تفتقر إلى كليهما، بينما ينظر كثير من السعوديين إلى إيران بكونها بلداً نجح في تحويل ثروتها النفطية إلى قوة سياسية حقيقية، وهي حقيقة لم يفلح النظام السعودي في الوصول إليها. فلو كان كذلك، فإنها ستضع إمكانياتها الاقتصادية في خدمة القوى الأجنبية. السبب الآخر، أن خوف السعودية من تضامن الحركتين (حزب الله وحماس) يقلق النظام السعودي لأن سياسته قائمة حتى الآن على مبدأ العهد القديم: فرق تسد .

الديمقراطيون الخطرون

السبب الثالث لعداوة الرياض لحزب الله تنبع من قبول الأخير للعملية الديمقراطية.

فقد خاض حزب الله اللعبة الديمقراطية والتزم بنتائجها، فيما تمسك بموقفه كحركة مقاومة حررت جنوب لبنان من الاحتلال الإسرائيلي. وقد طور حزب الله سياسة اجتماعية شاملة تتغلب على تحفظات الإسلاميين حول البرلمانات، والانتخابات، ومشاركة المرأة في الحياة العامة، والتعايش مع الآخر، والأحزاب السياسية العلمانية. لقد قبل بمقاومة إسرائيل بالتعاون مع الأحزاب السياسية الأخرى في لبنان، وتواصل حزب الله مع الجماعات الأخرى في مجتمع تعددي مثل لبنان. وبالرغم من أن أعوانه من الناحية العملية يقصرون أنفسهم على الضاحية الجنوبية (من بيروت) التي طورت مؤسساتها وخدماتها المتعاقبة مع الدولة، فقد نجحت في بناء جسور مع الجماعات السياسية الأخرى ليس في لبنان فحسب بل وفي بلدان أخرى .

إن هذا الجانب في تجربة حزب الله المثير لسخط السعودية، وسيحظى الإسلاميون بقبوله فحسب في حال أثبتوا بأنهم على استعداد لتنفيذ استراتيجيات وسياسات اجتماعية أكثر رجعية مما هي عليه. فقد اعترف النظام السعودي بحكومة طالبان فقط لأنها عرضت النموذج الأسوأ للدولة

الإسلامية - النموذج المتشدد، الطهراني، المفلس - الذي يجعل النظام السعودي وكأنه المثال المتقدم المعتدل الشرعي .

عداومة السعودية إزاء حزب الله متجذرة في رغبة النظام لكبح جماح أي نموذج إسلامي بديل، وخصوصاً ذلك النموذج الذي يفضح رجعيته في المستويات الاجتماعية والسياسية والايديولوجية. لقد رعى السعوديون نظام طالبان لأنه نظام يمتثل رؤية العالم لدى ابن جبرين - وهو عالم منقسم بين الاختيار والذين يعتبروا ألام لآل سعود، والكفار، وهم بصورة أساسية المسلمون الآخرون الذين يرفضون فكرة الاستزلام. لقد بارك علماء السعودية دولة طالبان والتي رأوا فيها مثلاً للدولة الإسلامية النموذجية. ولو لم تكن هذه الدولة خاضعة لابن لادن، لوصل النظام السعودي دعمه لطالبان .

حزب الله هو مجموعة واحدة تقدّم نموذجاً سياسياً واجتماعياً بديلاً - وهو بديل ليس من السهل رفضه من قبل النظام السعودي، حيث أن إسلاميه يتطلعون نحو بعض المنجزات الاجتماعية والسياسية لحزب الله، قبل أن تدمرهم إسرائيل .

نماذج جديدة

الأكثر أهمية، فإن النظام السعودي يخشى إعادة تكرار نموذج حزب الله على أراضيه وخصوصاً في المنطقة الشرقية الغنية بالنفط .

وبالرغم من أن النظام السعودي توصل إلى مصالحة مع الجماعات الشيعية المعارضة العام ١٩٩٣، أدت إلى عودة معظم المنفيين الشيعة من لندن، ودمشق، وبيروت، فإن انعدام الثقة، والخصومة الكامنة مازالت باقية، وخصوصاً بعد أن فشل النظام في كبح جماح أشباه ابن جبرين، الذي يواصل إصدار فتاوى تقسيمية ومتشدة ضد الشيعة .

وحتى الآن، فإن وجهة النظر الشيعية هي أن (عدو عدوي صديقي). فقد وضعوا مهاراتهم الفكرية في خدمة النظام السعودي حين أعلن حربه على الإرهاب ضد القاعدة. وقد بدأ كتابهم يشيدون بالمواطنة السعودية والشراكة، وشجب التطرف الوهابي في وقت كان النظام بحاجة إلى إنزال الهزيمة في خلايا القاعدة، فكان الشيعة السعوديون مجندين في معركة النظام السعودي ضد المتطرفين، الذين يتموقع تطرفهم في العقيدة الوهابية .

فقد استعمل النظام الشيعة كما هو الحال بالنسبة لمفكرين سنة آخرين، للإيقاع بخصومه. الآن، فإن هذا الخصم قد أصبح مهزوماً في الغالب، وأن النظام أعاد إحياء تحالفه المقدس مع الوهابية المدجّنة، بعد اجتثاث العناصر المتطرّفة غير المرغوب فيها. لقد توصل الشيعة السعوديون الآن الى نتيجة مفادها أن النظام لا يمكنه التخلص من الوهابية، وبالتأكيد لو فعل ذلك فإنه لن يقوم بذلك لحسابهم. إن عودة ابن جبرين هو دليل واضح على أن تعريف أمال الشيعة بوصفهم مواطنين مسلمين تامين قد تم تمزيقه تحت القيادة السعودية .

إن نموذج حزب الله يبقى مصدر إلهام للشيعة السعوديين، وفي الحقيقة فإن حزب الله الحجاز قد بدأ بالظهور مجدداً. مع مصالحة الشيعة السعوديين، يبدو أن هذه الحركة بدأت بالتمكين حيث جذبت أولئك الشيعة الذين رفضوا لأن يكونوا جزءاً من الاتفاق الذي تمّ التوصل إليه في التسعينيات. وقد يتمكن حزب الله الحجاز في المستقبل من حشد المزيد من المؤيدين، في حال توصل كثير من الشيعة إلى أن النظام استعملهم في تأمين مصالح رئيسية، خارج إطار الحضور الشكلي الحالي في المجالس البلدية المحلية، وشعائر العزاء العامة الآن وفي المستقبل، وغيره. ليس هناك ما يؤدي إلى استمالة الشيعة أكثر من الاعتراف الرسمي بمذهبهم الفقهي في السعودية - وهو حلم سيطمّن ابن جبرين وأمثاله الموت قبل رؤيته متبنياً من قبل الأئمة الصالحين، أي أمراء آل سعود. ولحد الآن، فإن العلماء قاوموا تضمين ممثل للشيعة في هيئة كبار العلماء، فيما يبقى الفقه الجعفري غير معترف به على المستوى الرسمي .

عصابات فتح الإسلام والتوقيت والدور المكشوبه

الدور السعودي في ظهور فتح الإسلام كان التصدي للمقاومة الإسلامية المتمثلة في حزب الله، وهو الدور المدعوم من أمريكا وإسرائيل والدول الغربية المناهضة للمقاومة لأن التساؤل الذي ألقى بثقله حول نشأة وظهور تنظيم فتح الإسلام خلال المواجهات التي دارت بينه وبين الجيش اللبناني لم يكن أكثر إلحاحاً و غرابة من التساؤل حول هذا الكم من جنسيات وأعضاء التنظيم لاسيما أن عدد السعوديين في التنظيم يكاد يكون الأكثر ارتفاعاً مقارنة باعداد أفراد التنظيم من الجنسيات الأخرى، فالمعلومات التي استقت من الأجهزة الامنية اللبنانية تشير لتوزيع عناصر التنظيميين الجنسيات كما يلي: ٤٥% من الفلسطينيين والسوريين، و ٣٠% من السعوديين و ٢٠%

من اللبنانيين، أما ٥% الباقية فتعود لجنسيات أخرى من عرب ومسلمين بينهم شيشان"، وان ما تم التأكد منه هو وقوع ٦ سعوديين في الاعتقال في حين قضى ١٠ منهم خلال الاشتباكات التي دارت في المخيم وطرابلس والقلمون. (المصدر: محمد مصطفى علوش).

فلا تكاد تخلو مواجهة من المواجهات التي دارت بين الجيش والتنظيم في عدد من المناطق اللبنانية إلا وقد تبين أن بين القتلى أو المعتقلين سعوديين، ففي عملية أبي سمرة من طرابلس قضى (٣) سعوديين ثم في عملية القلمون جنوب طرابلس التي أعقبها بعد أيام قضى (٣) آخرون، في حين أنه لم يتبين كم سقط من هؤلاء في مخيم نهر البارد.

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف ومتى ولما دخل هؤلاء إلى لبنان لاسيما أن جميع من عُرف منهم حتى الآن هم من فئة الشباب التي لم تزر لبنان من قبل بل أن بعضهم لم يخرج من السعودية في حياته كحالة "عايض القحطاني" إلا رحلة واحدة كانت إلى نهر البارد شمال لبنان ملتحقاً بتنظيم فتح الإسلام.

بل إن بعضهم شكل خلايا مهمتها إشعال حرب بين الطوائف اللبنانية كما هو حال "خلية بر الياس" بقيادة السعودي "عبد العزيز المغامس" التي نصبت صواريخ لإطلاقها من قرى شيعية على قرى مسيحية لولا انه تم ضبط الخلية قبل تنفيذ العملية.

يذكر لنا الشيخ "محمد الحاج" وسيط رابطة علماء فلسطين بين التنظيم والجيش اللبناني والذي التقى قيادي وكودار التنظيم عشرات المرات أن أفراد التنظيم تشكلوا عقب حرب تموز الأخيرة على لبنان وكانوا عبارة عن مجموعات فلسطينية جاءت من الأردن، وغزة، وسوريا والعراق وقد انضم إليهم أثناء وجود بعض أفراد هذه المجموعات في "الجيش الإسلامي في العراق"، مجموعة من العرب، سعوديين سوريين يمنيين جزائريين، ثم أثناء وجودهم في سوريا تم التنسيق مع مجموعة فتح الانتفاضة، بقيادة شاعر العبسي للانتقال إلى لبنان.

في المقابل تؤكد الجهات الأمنية المختصة ان عدد لا بأس به من هؤلاء قد قدم إلى لبنان من إيران والأردن والسعودية عبر مطار بيروت الدولي أو ما يعرف بمطار رفيق الحريري وان البعض منهم دخل ولم يعثر له على أثر.

أما عن دور هؤلاء في التنظيم فيوضح لنا الشيخ "عمر بكرى" احد الملمين بملف التنظيم ونشأته أنه قدم مجموعة من الشباب السعودي إلى لبنان منذ مدة وقد جاءوا من عدة مناطق من السعودية لاسيما من القصيم وبريدة حيث أوردوا الفرار بدينهم من الملاحقة الأمنية بالسعودية فهم ممن ينتمون لتنظيم "قاعدة الجهاد في بلاد الحرمين" بحسب ما لوحظ من البيان المصور الذي نشره التنظيم عقب اندلاع المواجهات بين التنظيم والجيش. ثم خلال وجودهم في لبنان اتصل بهم شاكر العبسي وأنشؤوا معاً "مجلس شورى" للتنظيم على إثره توسعت القيادة الكلية .

وأما عن الغايات التي رفعها التنظيم في استقطاب العناصر المقاتلة من الخليج والدول العربية والإسلامية-بحسب أحد الناشطين السياسيين الذي لطالما خالط قادة فتح فتنحصر في أربعة غايات هي: "نصرة أهل السنة في لبنان، إذ يعتقدون أن السنة مظلومون في المنطقة بشكل عام وفي لبنان بشكل خاص، ومحاربة الأميركيين في العراق وإسقاط المشروع الأميركي في لبنان، ومحاربة القوات الدولية التي أتت إلى لبنان لاحتلاله ووضعها في الفلك الأميركي، إضافة إلى الهدف المركزي عند كل الحركات الإسلامية ألا وهو المساهمة في تحرير القدس".

وقد تم استقطاب العديد من السعوديين عبر المنتديات الجهادية المنتشرة بكثرة على شبكة الإنترنت مستغلاً الدافع الديني وحب الجهاد لدى الفئات الشابة تحت عناوين جذابة، بدءاً من شعار الدفاع عن مقدسات المسلمين لاسيما الغزو المجوسي والصليبي للبنان وانتهاءً بشعار الزواج من حور العين في الجنة مستغلين الحالة النفسية التي يمر بها معظم الشباب في هذه الفترة العمرية

فوالد السعودي "سعد الكعبور" الذي قضى في المعارك بين الجيش والتنظيم يتهم المواقع الجهادية على شبكة الإنترنت بـ "غسل دماغ" ابنه، حيث إذ أن ولداهم الذي كان يقيم معهم في الدمام غادر السعودية قبل ثمانية أشهر تاركاً رسالة لهم مفادها أنه "ذاهب إلى الجهاد، لطلب الآخرة"، مذكراً رسالته بأن "الجهاد" سيمنحه "فرصة الزواج من الحور العين".

يشرح الدكتور فايز الشهري احد الخبراء السعوديين عملية التجنيد عبر الإنترنت بالقول: "هي عملية إلى حد ما معقدة ليست عملية استقطاب، مرسل ومستقبل يستجيب فوراً ويذهب إلى مناطق الصراع للمشاركة، هي العملية تعتمد على استغلال إحياتات الشباب النفسية والاجتماعية وحتى

الدراسية إذا فشل في الدراسة، استغلال هذه الإحباطات وبالتالي ينتقل إلى المرحلة الأخرى وهي تفرغ ذهن الشاب من الأفكار المسبقة التي تلقاها في مدرسته أو في بيته أو في مجتمعه، ثم تهشيم الرموز الفكرية والسياسية والاقتصادية والدينية وجعلها رموز هامشية إما بوصفها بالعمالة والخيانة، أو بالجهل وعدم الدراية بالواقع والصراعات، بالتالي يصبح الشاب جاهزاً لتلقي الوجبة التالية وهي حقنة بالفكر الذي يرى بأن هذا الفكر هو الصحيح، وبالتالي يمكن أن يغير العالم ويرفع من شأن أمته، وعندما يقتنع تماماً وهي مرحلة تأخذ فترة يبدأ يضح إليه بأدبيات ومواقع متخصصة في نشر المظالم".

وعن عملية التواصل بين أعضاء التنظيم عبر شبكة الإنترنت يقول الشفيق الأكبر لـ "عايض القحطاني" أن أخاه عايض علمه طريقة تواصل أعضاء التنظيم عبر شبكة الإنترنت فهي تقوم "على استخدام شخصين أو أكثر لعنوان بريدي واحد، فيدخل الأول ويكتب رسالة بمفردات ورموز يفهمها الشخص الآخر، ثم يحفظ الرسالة في العنوان نفسه ولا يرسلها، فيدخل الشخص الآخر بكلمة السر نفسها ويقرأ الرسالة ثم يمسخها".

وهكذا تحول الشاب السعودي المفعم بالإخلاص لدينه وأمته والمندفع للذود عن حياضها للوقوع في شرك أجهزة مخابرات دولية تحرقه في سبيل تحقيق أجدتها تحت راية "الله أكبر"، ليجد نفسه في مواجهة مع أهله وإخوانه بدلاً من وجوده في المكان الذي كان يبغيه.

وكل ذلك يثبت حقيقتين الأولى: أن الوهابيين في السعودية يستغلون تدين الشباب لتجنيدهم ليس من أجل الجهاد ولكن لتدمير الدول، وإذا رأينا أن حزب الله لم ينخرط في لبنان في أي صراع طائفي أو مع الحكومة اللبنانية، فإن فتح الإسلام وبدورها السعودي غاصت في الفتنة مع الحكومة ومع اللبنانيين والفلسطينيين الذين يعيشون في الشمال اللبناني.

المؤامرة على لبنان وسوريا وقوى المقاومة:

يمكن القول بأن الخوف السعودي من نموذج حزب الله هو الذي جعلها تنخرط في تشكيل وتنظيم فتح الإسلام الذي هو في الأصل دور تأمري على الدولة اللبنانية وقوى المقاومة بشكل عام حيث أنه لا يمكن لنا أن نعزل ونفصل ما يجري على الساحة اللبنانية من وعن سياقه كما يقول راسم عبيدات، حيث حلقات وفصول التآمر تتوالى وتطال أكثر من ساحة ولأكثر

من هدف وأجندة، وهي تستهدف كل حلقات المقاومة والمعارضة والممانعة العربية، وعلى رأسها وفي طليعتها الحلقة الفلسطينية، وهي التي تتعرض للذبح والإبادة والتطهير والتهجير الجماعي بدءاً من العراق، ومروراً بلبنان وانتهاءً بفلسطين، ولعله من الهام جداً، أن نشير في تحليلنا، إلى أن ما أقدمت عليه عصابات فتح الإسلام من هجوم غير مبرر على الجيش اللبناني، ومن ثم الهروب إلى مخيم نهر البارد الفلسطيني، له دلالات ومعاني وأبعاد ليست بعيدة عن التفاعلات والتطورات الإقليمية والدولية.. فعلى الصعيد الدولي شهدنا تراجعاً وانحناءً في الموقف الأمريكي تجاه سوريا، ترجم على الأرض من خلال زيارة رئيس مجلس النواب الأمريكي "نانسي بيلوسي" إلى دمشق، وإقرارها بالمصالح السورية في لبنان ضمناً، عندما قالت أن هناك العديد من المشاكل في لبنان، لا تحل إلا عبر دمشق، وكذلك لقاء وزيرة الخارجية الأمريكية "رايس" مع وزير الخارجية السوري وليد معلم في مؤتمر شرم الشيخ الأخير لدول جوار العراق، وأخيراً إعطاء الضوء الأخضر للحكومة الإسرائيلية للبدء بمفاوضات سلام حول هضبة الجولان المحتلة.

كل هذه التطورات والتبدلات والتغيرات المتلاحقة والمتسارعة في الموقف الأمريكي، تجاه نظام طالما وصفته الإدارة الأمريكية بأوصاف من طراز الدولة المارقة، وإحدى دول محور الشر والنظام المعزول والمحاصر والنظام الداعم "للإرهاب"، ألقى بظلاله بشكل مباشر على الساحة اللبنانية، وتحديدًا على حكومة السنيوره الفاقدة لشرعيتها ودستوريتها ومعها قوى الرابع عشر من آذار، والتي سلمت كل أوراقها وأمورها وقيادتها وقراراتها للسفارة الأمريكية والسفارات الغربية في لبنان، حيث دفعت بالمحكمة الدولية لمحاكمة قتلة رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري، وبقرار أمريكي - فرنسي - بريطاني، إلى دهايز مجلس الأمن الدولي، لإقرارها تحت إطار البند السابع، دون المصادقة عليها في المؤسسات الدستورية اللبنانية، كما أنها أقدمت على سلسلة من الإجراءات التصعيدية، لدفع الساحة اللبنانية نحو التآزم والانفجار، حيث أقدمت على احتجاز والسيطرة على المساعدات المخصصة والمقدمة لإعمار الجنوب اللبناني، عقاباً لأهل الجنوب على خياراتهم الوطنية والمقاومة، والموقف الأمريكي هذا جعل تلك القوى تتوجس وتتشكك من الموقف والتغير الأمريكي، والذي ربما في إطار لعبة المصالح، قد تقدم الإدارة الأمريكية على التضحية بها، وتقديمها قرباناً لمصالحها. ومن هنا جاءت خطوة أخذ المحكمة الدولية لمجلس الأمن، لإقرارها تحت البند السابع، وكذلك جاء

الدور والتوقيت المشبوه، لما أقدمت عليه عصابات "فتح الإسلام" من اعتداء همجي وغير مبرر على الجيش اللبناني، وقتل أكثر من ثلاثين من عناصره، والهروب تجاه مخيم نهر البارد الفلسطيني، بغرض وقصد تحقيق جملة من الأهداف المشبوهة: -

- توجيه الاتهام والتحريض على سوريا ، بأن ما قامت به هذه الجماعة يندرج في إطار سعي سوريا لتعطيل إقرار المحكمة الدولية تحت البند السابع، وبالتالي الإبقاء على الموقف الأمريكي المتشدد تجاهها، وإيجاد الحجج والذرائع للسيطرة على سلاح المقاومة الفلسطينية، تحت ذريعة وشعار، بسط السيادة اللبنانية على كامل الأراضي اللبنانية، ولا سلاح شرعي إلا سلاح الدولة والسلطة اللبنانية، وكذلك العمل على طرد وتهجير الفلسطينيين في رحلة عذاب مستمرة، لتوطينهم بعيداً عن الحدود والدول المجاورة لإسرائيل، وإذا كنا نرى أن هذه الجماعة المشبوهة الدور والتوقيت والهدف، والتي يجب العمل على سحقها، وعدم إيوائها أو احتضانها من أي طرف فلسطيني داخل مخيم نهر البارد، أو أي مخيم فلسطيني آخر، وطردها وتعريتها، لما تلحقه من ضرر بالغ بمشروعية نضالنا ومقاومتنا الفلسطينية، ولكن لا يمكن أن تكون هذه العملية المشبوهة والمفبركة، مبرراً لكي تقوم السلطة وحكومة السنيرة بتنفيذ أجنداث معدة سلفاً، تستهدف سلاحنا ووجودنا في لبنان، حيث أن الهجوم الوحشي على مخيم نهر البارد طال المدنيين دون تمييز، بما يجعلنا نقول أن وراء الأكمة ما وراءها، وخصوصاً إذا ما عرفنا العلاقات التمويلية والتسليحية بين هذه الجماعة وإحدى قوى الرابع عشر من آذار، والتي كانت تخطط لاستغلال هذه الجماعة والاستفادة منها في خلافاتها ومعاركها مع إحدى القوى اللبنانية المعارضة، وما يحدث في لبنان، ليس بمعزل أو بالبعيد، لما يحدث لأهلنا في العراق، والذين هم ليسوا طرفاً في الصراع، ولا يناصرون طرفاً ضد آخر، حيث تقوم عصابات ومليشيات مأجورة، وبعلم ومعرفة من أركان النظام الحاكم المسنود والمدعوم أمريكياً، بارتكاب مذابح ومجازر بحق أهلنا هناك، ضمن المخطط والمسلسل المستهدف للوجود الفلسطيني في دول الجوار، من أجل حمل أهلنا وشعبنا على التشرّد، وبالتالي دفعهم للتخلي عن حقهم في العودة إلى أرضهم، وتوطينهم في بلاد المناقي والشتات، وأيضاً هذا له ارتباط مباشر بما يجري على الساحة الفلسطينية، حيث الشعب الفلسطيني يتعرض لحصار ظالم، وهناك من يدفع الساحة الفلسطينية، حيث الشعب خدمة لأهدافه وأجنذاته ومصالحه وامتيازاته نحو الاحتراب والاقتيال الداخلي، بهدف ذبح المقاومة الفلسطينية وتبديد كل المنجزات والمكتسبات

التي عمدها وما زال يعمدها شعبنا بشلالات من الدماء الطاهرة، وكل الذي يحدث عربياً وفلسطينياً ليس بعيداً عن المخططات الأمريكية والإسرائيلية، والتي تنفذ بالتواطؤ والموافقة الضمنية من قبل بعض أطراف النظام الرسمي العربي، وهذه السياسة الأمريكية العدوانية، تستهدف بالأساس، العمل على تفتيت وتذريير البلدان العربية وإعادة رسم جغرافيتها، بما يجعل منها كيانات هزيلة، تحت السيطرة والنفوذ الأمريكي، محتجزة التطور ومنهوبة الخيرات والثروات، قوى المقاومة والممانعة فيها هامشية وضعيفة، ولذلك فإن ما قامت به جماعة ما يسمى به فتح الإسلام، يندرج ضمن هذا المخطط والسياق، والمنطقة حبلى بالتطورات، والتي كلها تنذر بأن أمريكا وإسرائيل وبعض الدول الغربية مثل فرنسا وبريطانيا، تسعيان إلى التصعيد، وإغراق المنطقة في سلسلة متوالية من الأزمات والحروب الداخلية، والتي قد تجر إلى حروب إقليمية شاملة، تحت مبررات من طراز منع إيران من امتلاك أسلحة الدمار الشامل، أو القضاء على القوى "الإرهابية"، قوى المقاومة العراقية واللبنانية والفلسطينية، ودول الممانعة والمعارضة - سوريا.. ومن هنا يجب علينا أن نكون متيقظين جداً لكل التحركات الأمريكية والإسرائيلية والسعودية في ذيلها، والمستهدفة للأمة بأكملها من محيطها لخليجها.

خاتمة

مما سبق يتبين أن السعودية لا تخشى كما تخشى قوى المقاومة، تخشى الدور المقاوم للصهيونية والأمريكية، تماماً كما تخشى دعوة استقلال الحجاز لأن تلك الدعوات وتلك المقاومات كشفت ومازالت تكشف الدور المشبوه لآل سعود وهو الدور الذي دوماً نكتب عنه وفيه..

ملحق

حسن نصر الله: مفاجأة العرب الكبرى*

د. مضاوي الرشيد**

في عصر الطائفية العربية الجديدة من الصعب تقييم السيد حسن نصر الله كإنسان وسياسي وقائد للمقاومة اللبنانية. إن صب عليه قلم كاتب ما المديح والإطراء فسرعان ما سيتهم بأنه رافضي حقير أو كاتب شعبي ثورجي تغره الشعارات الخلابية. وإن ذمه أحدهم وانتقص من دوره وقلل من أهميته فهو وهابي تكفيري متطرف أو عقلاني واقعي لا ينبهر بالمقامرة والخطاب الثوري التحرري.

في حالة الاستقطاب العربية والتي فجرها الاحتلال الأمريكي في العراق وذهب ضحيتها آلاف الأبرياء تصبح شخصية حسن نصر الله رهينة بين قطبين متناحرين كل منهما يخلط الأوراق ويعاقب الأشخاص البعيدين بجرائم القريبين من المشهد العراقي فيسقط تحليلاته وآراءه أما من مبدأ العقاب الجماعي أو من مبدأ تبني سياسة نظامه الرسمية تجاه ظاهرة حسن نصر الله وأبعادها اللبنانية والعربية والعالمية. وإن ابتعدنا عن دائرة الأقلام العربية وكثير منها لم تخرج بعد من حلقة الطائفية المفرغة بشقيها السني والشيعي واستجدنا بما يكتبه المحللون والأكاديميون الغربيون عن حسن نصر الله وحزبه فسنجد نمطا تحليليا مقنعا عن هذه الظاهرة. أحد هؤلاء الكتاب هو ريتشارد نورتن أكاديمي متخصص بالعلوم السياسية والاجتماعية وهو من الأوائل الذين درسوا الشيعة في لبنان. كتابه الأخير عن حزب الله ينفي صفة الإرهاب عن هذا الحزب ويدعو الإدارة الأمريكية لتغيير سياستها ويقر بحق حزب الله الدفاع عن أرضه المحتلة ويمجد سياسته الاجتماعية التي أنقذت شيعة جنوب لبنان من تاريخ طويل لم يعرف هؤلاء علي صفحاته سوي التهميش والفقر والعوز. وبينما هاجر أصحاب الأراضي والأموال من قري الجنوب إلى عواصم أمريكا الجنوبية وأفريقيا بحثا عن تجارة الألماس والذهب والثراء السريع بقي جنوب لبنان منغمسا في حالة تخلف اقتصادي واجتماعي ساهمت الدولة اللبنانية في استمرارها. نعم يعترف نورتن أن حزب الله هو المسؤول عن التفجيرات التي طالت المصالح الأمريكية في لبنان وخطف الغربيين في الثمانينات لكنه يري ان الحزب قد تغير خاصة بعد أن دخل العملية السياسية وشارك في السلطة

* مقال نشر في القدس العربي بتاريخ ٢٠٠٧-٠٨-٢٠
** كاتبة ومناضلة سياسية من الحجاز

عن طريق الانتخابات وبعد عرض طويل لنشوء الحزب وتطوره وتغير مسيرته واستراتيجيته يختتم نورتن كتابه باستنتاجات جريئة ومقنعة يوجهها إلى القارئ الغربي ويدعوه إلى تقييم الحزب وقائده من منطلقات وأدلة موثقة في كتابه. ومؤخرا كتبت لارا ديب وهي أمريكية من أصل لبناني كتابا أوضحت فيه حداثة التقوي في سلوكيات نساء حزب الله، حيث قامت ببحثها هذا في أزقة الضاحية الجنوبية ومع نساء منخرطات في نشاطات حزب الله الدعوية والخيرية. رصدت ديب كيفية تحول هؤلاء النساء من الإسلام الشيعي التقليدي إلى حداثة إسلامية شيعية أدت إلى انخراط النساء في مشروع الحزب ليس فقط السياسي، بل أيضا الثقافي والاجتماعي وركزت علي أهمية الطقوس الشيعية وتحولها من مواسم للعزاء والبكاء إلى مواسم لفرز ثقافة جديدة تنهض بالمجموعة من فكر الانتظار والعيول إلى فكر الحراك والنشاط البناء.

بين الأقاليم العربية والغربية تكمن حقيقة حزب الله وقائده. هدد هذا القائد الدولة الإسرائيلية بمفاجأة كبرى إن هي فكرت باعتداء جديد علي لبنان ولكن السيد حسن نصر الله هو مفاجأة العرب الكبرى. هو المفاجأة التي لم تكن في حسابات الكثير من الأنظمة العربية أو الغربية. نقف عند هذه المفاجأة ليس من منطلق الشيعي المناصر ولا من منطلق السني المعادي حسب املاءات الاستقطابات العربية المدعومة أمريكيا. بل نقيم حزب الله وقائده من منطلق معاشتنا للوضع اللبناني والعربي والذي انتزعنا منه مرتين المرة الأولى عندما هجرنا من وطننا الأم عام ١٩٧٥ ونقصد الجزيرة العربية والمرة الثانية من الوطن الذي احتضنا عام ١٩٨٢ نتيجة وصول الجنود الإسرائيليين إلى العاصمة بيروت، حيث لم يجد هؤلاء مكانا يغتسلون فيه سوي أزقتها المدمرة. تطلعنا حينها إلى العواصم العربية وجيوشها على مدى عقدين فلم نجد سوي مبادرات عقيمة وعساكر مهزومة وثقافة استسلامية تأصلت في النفوس. تباكي هؤلاء علي سويسرا الشرق ولم يعرفوا فيها سوي التسكع علي سفوح جبالها نهارا والاختباء في عتمة باراتها ليلا.

بكي هؤلاء بيروت الراقصة تماما كما بكوها الصيف الماضي عندما وجدوا أنفسهم في شاحنات السياحة تشحنهم إلى بلادهم تحت ضغط صواريخ إسرائيل الفتاكة رحلوا ومن ثم بدأوا يكيلون الشتائم علي ضحية هذه الصواريخ وليس مرسلها. هكذا تضامن السياح العرب مع مجازر إسرائيل في لبنان أما أنظمة العرب فتحدثت عن عقلانية جديدة ولم تستطع عقلانيتهم أن تفرض وقفا لإطلاق نار أو نهاية لهذه المجازر. تفضل هذه الأنظمة أن

تسخر ما تبقي من أجهزتها العسكرية المهترئة لمجازرها الداخلية ومعاركها مع شعوبها وهي تعلم ان إسرائيل لن تقصف عواصمها يوماً ما ولن تهدد قصورها علي رؤوسها لأنها تفضل مساكن الجنوب اللبناني الوضيعة والتي أنتجت مفاجأة العرب الكبرى، حيث يقبع لبناني آخر لم تعهده هذه الأنظمة ولن تلتقي به يوماً ولو بالصدفة في بارات شارع الحمراء سابقاً وشارع مونو لاحقاً. كيف استطاع حسن نصر الله ان يخرج هذا اللبناني من خنادق الجنوب؟

هل هو الدعم الإيراني والمساعدات العسكرية وهي ان قارناها بما تدفعه السعودية من فاتورة إلى شركات الأسلحة الغربية نقطة في بحر وقطرة في محيط.

كيف اخرج حسن نصر الله شيعة الجنوب من غيبوبة طويلة في عصر الانتظار؟

كيف حول جيشاً من المهمشين إلى جيش من المقاومين؟ كيف جمع حسن نصر الله بين المأتم والعرس في طقس واحد؟

نجح نصر الله لأنه لم يعول علي مبادرات سلام عربية ولا علي جيوش بأسلحة أصابها الصداً أو خردة بالية لتتقذ قري الجنوب من الاحتلال.

نجح نصر الله لأنه جمع بين الكاريزما والعمل بين الإسلام والحادثة بين الشعار والإنتاج حتى أصبح ماركة مسجلة عرّت المتهافتين العرب علي صلح جائر وسلام لا يعيد اللاجئ والأرض المسلوبة. علم نصر الله العرب أبجديات جديدة كانوا قد نسوها أو تناسوها تحت ضغط الإعلام المأجور والإرادات المرهونة. انتزع نصر الله اللبناني الراقص ومصمم الأزياء والوسيط والتاجر المقتنص للفرص النادرة والمتمرس باللغات الأجنبية واستبدله بأخر لم يعهده المسرح العربي ولم يكن مهيباً للتعرف عليه. صدم العرب بهذا اللبناني الجديد الذي لم يعهدوه من قبل وأصابهم التخبط وانتابهم حالة طيش عفوية. منهم من هرع لتحجيمه في مكعبات الطائفية مستعينا بثارات العراق الجديدة وجثته المجهولة الهوية علهم بذلك يدفنون السيد معها ويتخلصون من المفاجأة غير المتوقعة ومنهم من دبت فيه الغيرة الحقيقية وراح ينبش تراثه بحثاً عن صفحة مضيئة تنير عتمة واقعه المزري وآخرون وقعوا شيكات كبيرة عليها تعيد المارد إلى القمم وتخفقه في عقر داره قبل أن تصل أبجدياته إلى كراسات آخرين يتعطشون إلى نصر كنصر الله. وعلى عكس الأنظمة العربية نجد تقارير الحكومات الغربية أكثر واقعية وبراغماتية إذ أن التقرير البرلماني البريطاني الجديد يدعو إلى الحوار مع حزب الله بعد أن فشلت الآلة العسكرية الإسرائيلية في

استيعابه وتحجيمه. وسيجد هؤلاء من ينصت لهم داخل أروقة السياسة الغربية وان لم يأخذ بمقترحاته وتوصياته بشكل حرفي. لقد فرض حزب الله وقائده نفسه على الساحة الميدانية واخترق الأبحاث الأكاديمية ليس لأنه استأجر أقلام هؤلاء ودفع القيمة المطلوبة بل لأنه صاحب قضية عادلة وينطق باسم شعب عانى الأمرين من تخاذل العرب الرسميين وعلي الأطراف المتدخلة في سياسة لبنان الداخلية أن تستفيق من غيبوبتها بعد أن طال انتظارها وتتعاطى مع المفاجأة الكبرى ولو على مضمض.